المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد/ العدد: (2023)، ص 826 –ص 839

حضور السخرية السياسية في الدراما التلفزيونية الجزائرية

The presence of political satire in Algerian television drama

العايب مريم* [1] ، رمضان الخامسة[2]

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر) مخبر الدراسات النفسية و الإجتماعية ، meriem.laib@univ-biskra.dz

[2] جامعة محمد خيضر بسكرة(الجزائر)،elkhamssa.ramdane@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/07/20 تاريخ القبول: 2023/12/30 تاريخ النشر: 2023/12/31

DOI: 10.53284/2120-010-004-051

ملخص:

تسعى دراستنا هذه لتقديم نظرة حول الدراما التلفزيونية الجزائرية التي تبنت أسلوب السخرية لطرح ومعالجة القضايا والأحداث السياسية الراهنة في البلاد، مع إبراز كيف تحوَّل إهتمامها من معالجة القضايا الإجتماعية والتاريخية إلى معالجة القضايا السياسية والإثراء على هذا التحول في نقد الواقع السياسي، لاسيما أن الدراما الساخرة تعمل على تقديم رسائل هادفة بطريقة إما ظاهرية أم تضمينية من خلال بعض الرموز و الإشارات، الكلام، الحركات ،الديكور... بإعتبارهم وسائل تعبيرية تحمل معاني ودلالات توضح للمشاهد ما يحدث في الواقع السياسي داخل المجتمع الجزائري بطريقة خفيفة و مرحة، تحاول من خلالها تحقيق أهداف عديدة كالتوعية السياسية، التوجيه، الترفيه، التنفيس، الإخبار، الاضحاك.

كلمات مفتاحية: الدراما، السخرية، الدراما التلفزيونية، الدراما السياسية، القضايا السياسية.

Abstract:

This study seeks to provide a look at the Algerian television drama, which adopted a method of irony to raise and address current political issues and events in the country, highlighting how its interest shifted from addressing social and historical issues to addressing political issues and enriching this shift in criticism of political reality, especially since satirical drama works to present messages with connotations in a way that is either virtual or implicit through some symbols and signs, speech, movements, decoration... As expressive means that carry meanings and connotations that explain to the viewer what is happening in the political reality within Algerian society in a light and fun way, through which they try to achieve many goals such as political awareness, guidance, entertainment, venting, news, laughter.

Keywords: Drama, satire, TV drama, political drama, political issues.

1. مقدمة:

استطاعت الدراما التلفزيونية أن تؤدي دورا مهما في المجتمع الجزائري و أن تثير إهتمام الجمهور لها على اختلاف أعماره و مستوياته العلمية والثقافية، لاسيما مع إعتبار أن الدراما تهتم بمختلف القضايا و المواضيع في شتى المجالات سواء

* المؤلف المرسل

الإجتماعية، السياسية، التاريخية، الثقافية، الدينية... كما أن تقاربها الكبير من الواقع في تصوير ومعالجة بعض قضايا المجتمع، تُحسس الفرد وكأنها تهتم به وتشعر بما يريده مما تجذبه نحوها، حتى أنه بإمكان اعتبار الدراما بمثابة علاج نفسي حيث غالبا ما تسعى الدراما الهادفة إلى التخفيف من معاناة الناس والعمل على التوعية المجتمعية حول بعض الأحداث والقضايا من خلال طرحها بأساليب و قوالب مختلفة كإستعمال السخرية أو المأساة، أو الكوميديا.

مؤخرا و مع ظهور قنوات تلفزيونية جزائرية خاصة، فتحت هذه الاخيرة المجال لإنتاج وبروز العديد من الأعمال الدرامية التي كانت ذات يوم محتكرة من قبل التلفزيون العمومي، و تمكنت هذه الأعمال الدرامية ذات الميزات الفنية والتقنية الحديثة من تحقيق مشاهدات عالية كما سمحت للقنوات التلفزيونية دخول غمار المنافسة لاستقطاب أفضل الأعمال والسعي نحو الإنتاج الدرامي لعرضه على الجمهور ضمن باقة برامجية خاصه خلال رمضان، وقد اهتمت هذه الأعمال بمعالجة المواضيع الأقرب من الفرد بأكثر من أسلوب ،ومن بين الأعمال التي شهدتها الساحة الاعلامية والتي استطاعت أن تلامس مشاعر و أفكار الأفراد، هي الدراما السياسية الساخرة التي تزامن وجودها مع الأحداث السياسية في البلاد أبرزها الحراك الشعبي الذي زاد من اهتمام الفرد بالقضايا السياسية وزاد من رغبته لفهم حاضره ومستقبله السياسي .

وجاءت الدراما السياسية الساخرة بما تحمله من خفة في الطرح لتكون بمثابة البديل لبعض البرامج التلفزيونية الأخرى كون هذا النوع الدرامي المميز يقوم بعدة وظائف إلى جانب وظيفتي الترفيه والإضحاك فإن له القدرة الكافية على تمرير بعض الرسائل السياسية بطرق تضمينية بحيث تنتقد فيها عمل السلطة على الصعيد السياسي و الإجتماعي بطريقة يَسهُل على الفرد فهمها وفي نفس الوقت لا تُثير إنتباه السلطة لها، ان هذا النوع الدرامي الساخر لم يقتصر فقط على المسلسلات الدرامية بل تعدى ذلك ليمس باقي البرامج الأخرى ،بحيث أصبحت بعض البرامج التلفزيونية تخصص جزءا للتمثيليات الدرامية لتفسير بعض الأحداث التي يعجز الصحفي عن قولها بسبب بعض القيود التي تفرضها القناة او السلطة، وعليه أضحت البرامج السياسية هي الأخرى تعتمد على السخرية في طرح القضايا والنقد السياسي، من جهة أخرى تلجأ بعض برامج الاستقصاء والتحريات لتبني التمثيليات الدرامية التي تختص بالتحقيقات حول العنف والجريمة من خلال مشاهد تجسد تلك القضية، وعليه فالدراما أصبحت وسيلة ضرورية في مختلف البرامج التلفزيونية لما تحمله من رسائل تتقارب في وظيفتها مع تلك البرامج الغير درامية.

خلال السنوات الأخيرة شهد الجمهور الجزائري العديد من الأعمال التلفزيونية الساخرة التي تنقد واقعه السياسي نذكر من بينها :بوبالطو، جرنان القوسطو، دقيوس ومقيوس ، طالع هابط ،الى جانب دراما السلطان عاشور العاشر التي تُعد ضمن أبرز الأعمال الدرامية الكوميدية الساخرة التي حضيت بمشاهدة جماهيرية مرتفعة نظرا لإهتمامها بمختلف المواضيع التي تتناول مختلف الجوانب السياسية التي عاشتها الجزائر مؤخرا.

إن هذه الاعمال الدرامية التي لاقت اعجاب الجمهور لابد لها من فتح الشهية لباقي المخرجين والمنتجين في الجانب التلفزيوني للإهتمام أكثر بهذا النوع خاصة أن المتتبع للدراما قد يمل من التعرض لنفس المواضيع الاجتماعية، بحيث نجد أن إهتمام الدراما الجزائرية لعدة سنوات عهدناها كان ينصب دوما لمعالجة القضايا الإجتماعية و الثورية ، و إهمالها لسنوات عدة للجانب السياسي رغم أنه جانب مهم يساعد على توجيه الفرد وتشكيل الوعي السياسي .لاسيما أن تلك القرارات والتغيرات السياسية التي تحدث وتُحيط بالفرد تهمه في حياته اليومية، وعليه تأتي الدراما لتكون بمثابة وسيلة للإخبار ونقل المعلومات السياسية من خلال تقديم تحليل لتلك الأحداث السياسية بطريقة مبسطة بالإعتماد على اللهجة المحلية التي تُخاطب بها الجمهور حتى تصل الى أكبر عدد ممكن، خاصة أن ما يميز البرامج الدرامية عن البرامج الأخرى هو لغة الحوار الذي يكون في إطار السياق الإجتماعي وفي متناول جميع مستويات الأفراد مما قد يُسهل عملية الفهم لدى الفرد و يزيل عنه اللبس .

إن إنتقال إهتمام الدراما الجزائرية للقضايا السياسية بعد إهمالها لسنوات لهذا الجانب جعلها تصطدم ببعض المشكلات و العقبات التي قد يواجهها المخرج التلفزيوني في مثل هذا النوع الدرامي الصعب و الحساس الذي يتطلب خبرة و

دقة ووقت لدراسة المواضيع دراسة معمقة ووضعها في قوالب تليق بها مع إستحداث أساليب خاصة بها تُمكن المشاهد من فهمها بسهولة مع العمل على تحقيق وظائف عدة إلى جانب الترفيه والإمتاع وعدم التجاوز الأخلاقي والقانوني في الطرح.

وعلى هذا الأساس جاءت دراستنا النظرية لإظهار هذا التوجه الحديث الذي طغى على الانتاج الجزائري و معرفة كيف ساهمت الدراما الساخرة في معالجة القضايا السياسية الجزائرية من خلال طرح التساؤل الرئيسي الآتي :ماهي الجدلية التي أحدثتها الدراما السياسية الساخرة الجزائرية ؟

2. الدراما السياسية:

1.2 مفهوم الدراما السياسية:

تعود البدايات الأولى لمفهوم الدراما بصفة عامة إلى أرسطو الذي تناول هذا المفهوم في كتابه "فن الشعر" حيث عرفها على أنها محاكاة لفعل انسان، و الدراما في الأصل هي كلمة يونانية مشتقة من الفعل "دراو drao"بمعنى العمل، ويقصد بها أي عمل في الحياة سواء في الطبيعة أو المسرح (محمد و رجاء عبد الرازق، 2013، صفحة 13) وعليه فالمعنى الأساس لكلمة دراما هو العمل والحركة .

هذا كما حدد العناني مفهوم الدراما في كتابه على أنها: " شكل من أشكال الفن الأدبي القائم على تصور الفنان لقصة تدور حول شخصيات تدخل في أحداث ،وتتسلسل أحداث هذه القصة من خلال الحوار المتبادل بين تلك الشخصيات والصراع الذي ينشأ ويتأزم ثم ينتهي عن طريق الفصل بين القوى المتصارعة فيها." (هيلات و أبومغلي، 2008، صفحة 23)

و تتعدد تعريفات الدراما وتختلف حسب نوعية إرتباطها مع الفنون الأخرى سواء الأدب والشعر، المسرح ، أو كل من الاذاعة و السينما و التلفزيون... لكن في نفس الوقت نجد أن الدراما مهما كان إتجاهها و نوع إرتباطها فإنها تشترك في جميع الحالات في كونها تمثيلية تتضمن وجود عناصر أساسية أبرزها الموضوع أو القصة التي يتم توليفها من طرف الكاتب "السيناريست" والتي غالبا ما تعالج مشكلات إنسانية، ثم يتم تجسيدها على أرض الواقع سواء في المسرح أو في مكان خارجي أو مغلق، أو تصويرها وتسجيلها بالإعتماد على تقنيات و أدوات ووسائل سمعية أو مرئية، ونقلها إلى جمهور واسع عبر مختلف وسائل الإتصال الجماهيري ،و كل هذا يتم بفضل الجهود التي يقدمها مجموعة من الأشخاص يتقمصون أدوارا تمثيلية معينة تجسد سيناريو القصة، من خلال حوار وحركات في مكان محدد و وفق ديكور وملابس ووسائل ترافق طبيعة الموضوع والزمان الذي صُورت فيه، و لعل هذا ما يجعلنا نقول أن الدراما هي عمل فني إبداعي بحيث تتطلب توفر عناصر درامية أساسية مكملة لبعضها البعض، خلال كل مرحلة يتم تجسيد الدور فيها ،كما تتطلب جهد وفكر إبداعي تناسقي و أدوات ووسائل مميزة.

إن تاريخ الدراما طويل فقبل أن يرتبط هذا المفهوم بالتلفزيون فقد مر بالعديد من الفنون والوسائل الجماهيرية، أين كانت الدراما تُنقل عبر الشعر و المسرح و دور السينما، و استمر ذلك إلى أن جاء التلفزيون الذي عمل في البداية على تسجيل ونقل تلك الأعمال الدرامية وعرضها عبر شاشة التلفاز على الجمهور الذي صار يتلقاها و يشاهدها وهو مسترخي في بيته بدلا من أن يذهب إلى المسرح أو دور السينما، واستمر التلفزيون في نقل الدراما التي تُنتج بعيدا عنه لفترات طويلة، ذلك لأن بدايات العمل الأولى للتلفزيون تأثرت بالمذاهب المسرحية المعروفة والأفلام السينمائية الشهيرة، إلى أن بدأ هذا الأخير بالإعتماد على نفسه، من خلال إنتاج أفلام تلفزيونية محضة خاصة به، و إضافة نوع جديد إلى البرامج التلفزيونية تحت مسمى الدراما التلفزيونية، كما عمل التلفزيون على تكوين فريق بكوادره العاملة و فنانوه وكُتَّابُه ومخرجوه وتقنياته وأسلوبه الخاص، وهكذا بدأت تظهر العديد من التمثيليات التلفزيونية التي يتناول كل منها موضوع معين يعالج الواقع الإنساني بقوالب درامية مختلفة سواء كوميدية أو تراجيدية، بهدف تحريك عواطف الجمهور والتأثير فيه، وقد تمكنت الدراما

التلفزيونية بذكائها وتنوعها و لغتها البسيطة من مخاطبة المشاهد المتعطش لمثل هته الأعمال و كسب جمهور عريض لها خاصة وأنها بدأت تهتم بمعالجة مشاكل الناس وملامسة عواطفهم و التركيز على وظيفة الترفيه و التنفيس والإمتاع إلى جانب التثقيف (المصري، 2010، صفحة 69) .

من جانب آخر يُرجع الكثير من الباحثين تاريخ بداية ظهور الدراما التلفزيونية بصفة خاصة مع بدء البث التلفزيوني في بعض الدول الأوروبية قبل الحرب العالمية الثانية (الشمري، 2014، صفحة 165) .

أما من ناحية مفهوم الدراما السياسية فقد جاء هذا المفهوم بعد بروز العديد من الأعمال الدرامية، حيث يختص هذا النوع الدرامي بمعالجة القضايا السياسية والسياسيين، من خلال التطرق للأحداث والمواقف السياسية أو إحدى الشخصيات السياسية بإستخدام قوالب فنية مختلفة سواء كانت ساخرة أم جادة أو الجمع بين الجد والهزل معا، وجميعها يحمل أهداف عديدة إلا أنها غالبا ما تشترك في نشر الوعي السياسي. وجاء تعريف الدراما السياسية على أنها دراما (البروباجندا) الدعاية السياسية وهي دراما الإستفزاز السياسي ،ويقوم هذا النوع بمعالجة الأحداث والقضايا السياسية بقليل من الفكاهة، وكثير من النقد ،وغالبا ما يهدف إلى نقد تصرفات السياسيين و قرارات الحكومة وعمل النظام السياسي بشكل عام (مصطفى، 2014، صفحة 27)

2.2 الدراما في الوطن العربي :

يُرجع الكثير من النقاد السينمائيين بدايات الدراما التلفزيونية عند العرب الى منتصف القرن التاسع عشر، و مع اجماع الكثير من الباحثين المتخصصين في هذا الجانب أقروا أن هذا النوع قد عرف أوجه خلال العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، في كل من سوريا و لبنان و مصر، اذ تُعد هذه الدول هي التي وُلدت فيها الدراما على الصعيد العربي، رغم أنها في الأساس نضجت ببلاد مصر بإعتبار أن مصر البلد العربي الوحيد الذي يمتلك موروث درامي منذ الفترة الفاطمية في القرن العاشر، أين كانت الدراما آنذاك مرتبطة بالمسرح، أي عبارة عن فارسات "متدنية ومضحكة" ،إضافة إلى المحاكاة الساخرة، إلى جانب بعض المشاهد الدرامية ذات الطابع الأدبي المعروف بإسم خيال الظل، وفي الغالب فإن تلك المشاهد الدرامية الشعبية كانت تسودها الكثير من الكوميديا والجنس في نفس الوقت (بدوى، 2013، صفحة 31).

في بادئ الأمر لجأت مصر هي الأخرى إلى نقل الدراما المسرحية والسينمائية عبر قنوات التلفزيون المصري من خلال القمر الصناعي الخاص بها "نايلسات "، لاسيما أنها كانت نشيطة بصناعة العديد من المسرحيات والأفلام السينمائية الدرامية التي كانت تُعالج الواقع اليومي للمجتمع المصري على وجه خاص والواقع العربي بشكل عام. وتُعد مسرحية "مجنون ليلى " و"الصفقة والدلوعة" من أول وأشهر المسرحيات الدرامية التي تم نقلها عبر التلفزيون المصري لكافة الشعوب العربية، ويرجع ذلك إلى غياب المؤلفين الملمين بالكتابة التلفزيونية وغياب مخرجين وممثلين متمكنين في هذا الجانب، و حتى يتغلب التلفزيون المصري على كل تلك المشكلات قام بإرسال عدد من المخرجين إلى الخارج لدراسة فن الإخراج التلفزيوني وتشكيل فريق عمل ملم بقواعد العمل التلفزيوني الدرامي، وهكذا أضحت مصر أول بلد عربي يقوم بإنتاج مسلسلات تلفزيونية ،و من أولى المسلسلات نذكر: "هارب من الأيام" و"عادات وتقاليد"، "الرمال الناعمة" وذلك عام 1961، (محمد و رجاء عبد الرازق، 2013، صفحة 71) واستمرت مصر في صناعة العديد من المسلسلات الدرامية إلى جانب الأفلام السينمائية بحيث احتلت المراتب الأولى عربيا في الإنتاج وقد تطرقت من خلال هذه الأعمال الى مختلف القضايا والأحداث المصرية والعربية بصفة عامة، ما جعلها تجذب جمهورا كبيرا نحوها من مختلف المناطق.

الى جانب الدراما المصرية استطاعت الدراما السورية أيضا أن تفرض نفسها وتُشكل جمهورا عربيا لها من خلال الأعمال الدرامية التلفزيونية والسينمائية التي تقدمها والتي تعالج الحياة اليومية وبعض قضايا المجتمع السوري بإستخدام أساليب ضاحكة تارة و صارمة تارة أخرى، ولعل أبرز الأعمال التي لاتزال تلقى متابعة كبيرة ليومنا هذا رغم نقص الانتاج الدرامي في التلفزيون السوري بسبب الأزمة الامنية بسوريا هو المسلسل الضخم الذي حقق نجاحا كبيرا على الصعيد العربي "باب الحارة" بمختلف أجزائه.

بالمقابل أدت الدراما المصرية والسورية الى فتح الشهية لباقي الدول العربية لدخول عالم المنافسة في الانتاج الدرامي التلفزيوني و بالأخص خلال شهر رمضان ،ما أدى الى ظهور ما يُعرف بالدراما الخليجية التي راحت هي الأخرى تعالج واقع الشعوب العربية من حروب وازمات اقتصادية واضطرابات سياسية و ارهاب ....واستطاعت في ضرف وجيز دخول غمار المنافسة في الدراما العربية. و أن تحقق نجاحا رغم إختلاف اللهجة الخليجية كونها تعد جديدة على بعض فئات الجمهور العربي المتعرض لها .

ومع التطور الرقمي مؤخرا، تم استغلال هذا الجانب في انتاج العديد من الأعمال فيما يُعرف بالدراما الرقمية من خلال بعض التطبيقات الخاصة لنشر مثل هذه الأعمال عبر الشبكة العنكبوتية التي تتطلب من المتتبع لها اشتراك شهري او سنوي حتى يتمكن من الولوج للمنصة الرقمية ومشاهدة ما يشاء ويعد تطبيق "شاهد" أشهر تطبيق عربي يمكن إستعماله من أجل الفرجة الدرامية الى جانب بعض الأعمال الدرامية التي يتم عرضها عبر موقع يوتيوب.

3.2 الدراما الجزائرية:

قبل البدء بالحديث عن بدايات الدراما التلفزيونية في الجزائر، لابد أن نعرج عن التاريخ الحافل و الطويل للسينما الجزائرية، لاسيما أن ميلاد السينما سبق التلفزيون، فقد كان أول ظهور للسينما في الجزائر عندما أرسل الإخوة " لوميير" فنيين لإلتقاط بعض الصور في الجزائر سنة1896 و تدشين أول عرض سينماتوغرافي بمدينتي الجزائر و وهران أين كان موجه للمعمرين آنذاك، حيث إستغل المستعمر الفرنسي جمال الجزائر وتعدد عاداتها وتقاليدها لتصوير العديد من الأفلام السينمائية سواء الوثائقية أو الروائية. من جهة أخرى كانت بعض الأفلام تصور المعمرين وعاداتهم وثقافتهم من أجل ترسيخها في عقول الجزائريين وتقضي على هويتهم الوطنية، و بالمقابل كانت تصور الجزائري بطرق مهينة بهدف السخرية منه و اضحاك الجمهور وخلق احساس بالنقص لدى الجزائري (ساكر، 2012، صفحة 23).

ان ميلاد السينما الجزائرية كان من رحم المعاناة وبدأ علمها يرتفع ويسمو أكثر إبان الثورة التحريرية و بعد الإستقلال بحيث تحررت من أفكار و تبعية الإستعمار الفرنسي لها، إذ خلال حرب التحرير الوطني كانت بمثابة سلاح حيث كانت تلك الأعمال السينمائية وسيلة لدفع قضية الثورة الجزائرية الى الأمام وتدويلها من خلال نقل نضال هذا الشعب و كشف للعالم الجرائم التي إرتكبها المستعمر الفرنسي إزاء الشعب الجزائري المستضعف، الذي سلبه كافة حقوقه، فكانت السينما الدرامية و التسجيلية وسيلة تؤرخ ذلك النضال وتوثقه وتنقله للأجيال القادمة حتى لا ننسى تضحيات هذا الشعب .

وقد كانت للدراما التلفزيونية الجزائرية علاقة وطيدة بالأعمال السينمائية التي تم إنتاجها سابقا، أين كان التلفزيون الوطني العمومي يُعيد نقل الأعمال السينمائية الدرامية التي كان أغلبها يتطرق للقضايا الإجتماعية والنضالية أثناء الثورة التحريرية من خلال رصد الكفاح اليومي للجزائريين آنذاك، الى جانب نقل صور عن الحياة الاجتماعية خلال الثورة و مرحلة ما بعد الإستقلال. ولم تعرف الدراما الجزائرية النور إلا بعد أن تحررت من السينما وأصبح هناك انتاج تلفزيوني بمخرجيه وكتابه ومصوريه وممثليه.

رغم ذلك يُرجع الكثير من النقاد السينمائيين بدايات الدراما الجزائرية الى المسلسل المعروف "الحريق" او "الدار الكبرى والحريق" للمخرج مصطفى بديع، والمقتبس من رواية المؤلف محمد ديب، حيث يروي هذا العمل الدرامي عن مجموعة من الناس يعيشون في "دار سبيطار" يمثلون يوميات الشعب الجزائري المضطهد أيام الاستعمار الفرنسي، و يتضمن هذا العمل عددا من الحلقات، بحيث كل حلقة تتطرق إلى موضوع إجتماعي معين يعالج الواقع المعاش آنذاك .

هذا كما يعد كذلك فيلم "معركة الجزائر" أحد أبرز الأفلام الدرامية التي شهدتها الجزائر في فترة ما بعد الإستقلال، رغم ان الإنتاج آنذاك كان ضعيفا بسبب بعض النقائص والصعوبات منها عدم توفر العتاد الخاص بالتصوير التلفزيوني وعدم وجود مخرجين تلفزيونيين مكونين في هذا الجانب. وذلك راجع لعدم إهتمام الدولة الجزائرية بمجال السمعي البصري بعد، بسبب وضعها المنهار اقتصاديا وسياسيا بعد حرب طويلة، إضافة الى عدم وجود قانون خاص بالإعلام يُنظم هذا المجال

.رغم ذلك استطاعت الجزائر بأبسط التقنيات والأفكار من صناعة العديد من الأفلام بالإعتماد على مخرجين أجانب و آخرين جزائريين مكونين بالخارج . و أن تلامس الواقع المعاش ،وقد شهدت فترة الألفية العديد من الأعمال الدرامية التي كان لها صدى كبير على المستوى الوطني رغم وجود قناة تلفزيونية واحدة فقط تنتمي للقطاع العمومي حينها، وصولا الى يومنا هذا حيث اصبحت المنافسة تزداد بين المخرجين الجزائريين وتزداد معها الأعمال الدرامية وتختلف في شكلها ومضمونها والمجال الذي تعالجه من أجل استقطاب جمهور أكبر، ومن بين الأعمال الدرامية الأخيرة التي كونت رأي عام وجذبت جمهورا كبيرا تم عرضها على مختلف القنوات العمومية و الخاصة نذكر: المسلسل الاجتماعي ولاد الحلال، السلسلة الكوميدية السياسية السلطان عاشور العاشر، الخاوة، جرنان القوسطو، الدامة .

ورغم ما تعانيه الصناعة الدرامية في الجزائر من نقائص و عراقيل و إستنساخ إلا أن المنافسة أضحت تزداد بين تلك الأعمال لاسيما خلال شهر رمضان، مع ظهور مخرجين ومنتجين شباب في هذا المجال ولعل هذا النمو المتسارع لتلك الأعمال التي أصبح هدفها الأول ربحي يشكل خطرا على القيم الأخلاقية والثقافية و الإجتماعية للمتلقي، لذا لابد من ضبط تلك الأعمال الدرامية حتى لا تبتعد عن مسارها.

3. إرتباط الدراما التلفزيونية بقضايا المجتمعات الإنسانية:

منذ أن ظهرت الدراما و إرتبطت بالمسرح والشعر والقصص، وهي تعالج واقع المجتمعات الإنسانية بطرق و أساليب عديدة سواء بأسلوب كوميدي أو تراجيدي أو ميلودرامي، و إستمر هذا إلى غاية إرتباطها بمختلف وسائل الإتصال الجماهيرية لاسيما المرئية منها، أبرزها التلفزيون الذي يمتاز بعدة خصائص فهو عبارة عن جهاز يجمع بين عدة وظائف وميزات لوسائل إعلامية أخرى منها الإذاعة والسينما والصحافة وذلك من خلاله ربطه بين الصوت والصورة والحركة معا، مما جعله قادرا على جذب جمهور كبير بمختلف الفئات العمرية، وعلى إختلاف مستوياته العلمية والثقافية و الإجتماعية . وكما يقول عبد الرزاق الدليمي حول هذه الوسيلة الإعلامية المثيرة : " لقد أصبح التلفزيون بالفعل إحدى الظواهر الاجتماعية وأصبح تأثيره واضحا وعميقا في جميع مجالات الحياة البشرية حتى أصبح عصرنا الراهن يسمى عصر التلفزيون " (الدليمي، 2005، صفحة 26)

إن إندماج الدراما مع التلفزيون ولّد لنا نوعا جديدا من البرامج التلفزيونية، فإلى جانب البرامج الغير تمثيلية، برز نوع برامجي آخر وهو الدراما التلفزيونية التي تقوم على مبدأ التمثيل، وقد لاقى هذا النوع إقبالا ورضا كبير من قبل الجمهور المتلقي له منذ ظهوره على شاشة التلفزيون نظرا للفرجة و المتعة التي يقدمها للفرد وهو مسترخي في بيته، علاوة على ذلك تهتم الدراما بمختلف القضايا والأحداث سواء كانت اجتماعية، سياسية، ثقافية تاريخية...وتسعى لمعالجتها بطرق تحاكي و تلامس مشاعر الفرد من خلال توفر عناصر متسلسلة أهمها موضوع القصة، الحوار، الشخصيات الدرامية، الديكور، وهي عناصر مكملة لبعضها البعض كونها مترابطة عبر لقطات و مشاهد تشكل لنا من خلالها قصة درامية، بحيث تسلط الضوء على زوايا معينة من القضية المتناولة، وعلى هذا الأساس أضحت الدراما وسيلة للتنفيس . لاسيما مع إعتبار أن الدراما التلفزيونية تهدف أساسا إلى الترفيه والتوجيه الإجتماعي من خلال التفاعل والحوار بين الشخصيات، هذا كما تساعد على الترويح عن النفس ،وفهم أنفسنا و واقعنا، وحسب بعض آراء الباحثين وعلماء علم النفس يؤدي مشاهدة الأعمال الدرامية عادة الى نقص في التوتر النفسي و الإنفعالات المكبوتة لدى المشاهد (عوض، 2008، صفحة 186) ، وقد يبدو ذلك جليا من خلال توحده مع أبطال العمل الدرامي، حيث غالبا ما نجد المشاهد يميل للشخصية الدرامية التي تماثل حالته الاجتماعية والنفسية، فيتوحد مع هذه الشخصية ويعيش الدور معها سواء بالفرح أو الحزن أو الغضب أو الخوف وهكذا يُخرج مكبوتاته من خلال ردة الفعل تلك. الى جانب ذلك يكتسب المتتبع للدراما التلفزيونية خبرات وأفعال جديدة، حيث يتعلم منها، و يأخذ العبرة من تلك المواقف الدرامية التي تساعده في حياته الخاصة، كإيجاد حل للمشكلات العائلية التي يعيشها، أو تجنب الوقوع في نفس الأخطاء التي وقعت فيها تلك الشخصيات .

وعلى هذا الأساس تقوم الدراما التلفزيونية بخلق بعض من الحميمية بين المشاهد و شخصيات ذلك العمل الدرامي ،خاصة أنها تعمل على تقديم صورة فنية قريبة جدا من واقع الحياة والمجتمع من خلال حلقات كثيرة تمتد لساعات يتعرض لها المتابع وهو في بيته مسترخي أمام شاشة التلفزيون الصغيرة (هيكل، 2016، صفحة 20)

4. العلاقة التفاعلية بين الدراما التلفزيونية و السياسة و السخرية:

لطالما إهتم السياسيون بوسائل الإعلام منذ ظهورها إلى يومنا هذا، وذلك لما تقوم به من وظائف عديدة وما تتمتع به من ميزات وخصائص أبرزها الوصول لعدد كبير من الناس رغم تباعدهم المكاني و الزماني علاوة على قدرتها في التأثير على أفكارهم و تغيير سلوكاتهم، إذ وُظفت كل من الصحف والإذاعة والسينما والتلفزيون من قبل السياسيين لتحقيق بعض الأغراض السياسية، فمن جانب ما لا يمكن أن ننكر الدور الكبير للمذياع و كيف أُستعمل كسلاح خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهذا لما يتميز به من قوة رهيبة خلال تلك الفترة، بحيث كان له دور كبير في التأثير على معنويات جنود العدو وزرع الرعب في نفوس المواطنين، عبر نشر الإشاعات والدعايات بما يقوم به المحاربون، و قد كان المذياع بمثابة سلاح لدى هتلر لإسقاط العدو البلشفي

كما لا ننسى أيضا الدور الفعال للسينما منذ ظهورها، فقد أُعتمدت هذه الأخيرة لدى حكومة بريطانيا سابقا كوسيلة من أجل تجنيد الشباب ورفع معنوياتهم في الحرب بجنوب افريقيا، من خلال بعض الأفلام السينمائية وعلى رأسها فيلم للمخرج "سيسل هبوورت" عام 1899. كما عملت الولايات المتحدة في نفس السنة بنفس الطريقة، حيث قامت بإعلانها الحرب في اسبانيا من خلال فيلم للمخرج" سبور" وفيلم للمخرج "ستيوارت بلاكتورن" (ساكر، 2012، صفحة 15)

إن كل هذه التغييرات التي أحدثتها كل من الصحف والإذاعة والسينما والتلفزيون، يُوحي لنا بأن وظائفها لا تقتصر فقط في إعطائنا مجموعة من المواد الإعلامية الإستهلاكية، بل أنها أيضا تلعب دور تأسيسي وسياسي في المجتمع، فهي تساعد على تحديد أي المطالب السياسية ستُثار وأي هذه المطالب له فرصة الإرضاء، وأيها سوف يُهمل أو يُؤجل لوقت لاحق، كما أنه نظرا لما تملكه هذه الوسائل من ميزات وقوة في التأثير فإنها قادرة على التأثير في إختيارات الحكومات والسياسيين سواء بالقبول أو النقد أو الرفض (عامود، 2009، صفحة 135) .

وتؤكد بعض الدراسات في العلوم السياسية أن وسائل الإعلام أصبحت تشكل قوة رهيبة داخل المجتمعات، لما لها من تأثير بالغ في عملية صناعة القرار السياسي من خلال ما تنقله للمتلقي من مواد إعلامية بقوالب متعددة وأساليب كثيرة (علاوي، 2015، صفحة 175) .

من جانب آخر تُعد الأفلام الدرامية السياسية هي الأخرى بمثابة وسيلة لنشر الأفكار السياسية التي تخدم مصالح وأهداف بعض الجهات المنتجة لها، عبر النقد السياسي لأداء وأفكار وتحركات الحكومات والشخصيات السياسية أو إبراز أحد الجوانب الإيجابية لأداء بعض الحكوميين و الأنظمة السياسية، و العمل من خلالها للوصول إلى الأهداف المرجوة كنشر الوعي السياسي ، أو السعي للتغيير السياسي أو كشف بعض أعمال الفساد، أو نقد بعض العلاقات والتوترات السياسية بين الدول والنظم والأحزاب السياسية، أو تمييع النظام الحاكم، وما يميز البرامج الدرامية التمثيلية عن باقي البرامج التلفزيونية الأخرى هو قدرتها على معالجة مختلف المواضيع الحساسة بطرق تضمينية وبقوالب فنية متعددة، بحيث لا تُثير إنتباه الأشخاص الذين تنتقد سلوكهم أو أفكارهم، لأنها تعمل على تقديم رسائل مشفرة للجمهور المستقبل لهذه الأعمال الذي يقوم بتفكيك تلك الرموز والاشارات الموجودة سواء في الكلام أو الحركات وتفسيرها وتأويلها مع إسنادها بما يحدث في الواقع .

مؤخرا أصبحت الدراما التلفزيونية تميل أكثر لإستخدام القالب الكوميدي الساخر في معالجة القضايا خاصة منها السياسية، بإعتبار السخرية رمز تعبيري يحمل تأويلات عديدة يتطابق مع النسق الإجتماعي للمجتمع، وقد أصبحت الدراما السياسية تعتمد على السخرية بدلا من الأسلوب الرزين حتى لا تقع في صدام مع السلطة أو الأفراد الذين تنتقدهم، خاصة

حينما يتعلق الأمر بالنقد السياسي سواء نقد آداء الحكوميين أو النظام الحاكم، القرارات السياسية... ففي الوقت الذي تعمل فيه السلطات على تقييد البرامج الحوارية السياسية ورسم لها حدود تمنعها من الطرح الجريء لتلك القضايا، جاءت الدراما الساخرة لتكون بمثابة البديل الأول لها.

وجاءت السخرية كقالب فني مميز لنقد الأحداث أو الشخصيات السياسية و آداء الحكومات، مع اعتباره ليس نوعا جديدا علينا، لكنه أضحى أسلوب ناجع كثيرا لاسيما في المجتمعات الغير ديمقراطية لكشف ما هو مستور في الجانب السياسي ونقل تلك الحقائق كما هي للفرد ، وتعد السخرية قديمة قدم الإنسان حيث أُستعملت قديما في تصوير واقع المجتمعات الإنسانية، المثقلة بالهموم والآلام، من خلال الشعر الساخر والمسرح، وقد إمتلئ الشعر العربي بروح عالية من الفكاهة والتندر، أين كان الشاعر الشعبي الساخر يضع نفسه أمام الجمهور ويخاطبهم حسب مستواهم و بإستعمال لغتهم البسيطة حتى تكون الرسالة مفهومة أكثر، كما أنه يعمل على معالجة موضوعات وقضايا تمسهم، وكان هو الآخر يتعرض للانتقاد الشعبي لما يحمله من عبارات ساخرة، وفي نفس الوقت يصل هذا النوع بخفته ومرحه إلى قلوب وعقول الناس الذين يتغنون بكلماته ويتندرون في مجالسهم بأبياته (بكر، 2018، صفحة 31)

إن السخرية التي تُستعمل لنقد الأحداث والمواضيع السياسية سواء من خلال الشعر أو المسرح أو وسائل الإتصال الجماهيري، غالبا ما تكون هادفة، فهي لا تسعى لأذية الغير، بل إلى إيصال رسائل متعددة تفك اللبس لدى المواطنين عن قضايا مهمة أثقلت كاهلهم ولامست مشاعرهم، بإعتبارهم يشكلون حلقة من كل قضية مجتمعية، إلى جانب إضفاء جانب من المرح والضحك للترويح عن نفسية المتلقي واضحاكه.

و السخرية عبر وسائل الاعلام تتجلى غالبا في البرامج التمثيلية التي تحوي قدرا من الدراما، فحينما تعجز البرامج الحوارية عن ممارسة النقد السياسي و الإجتماعي بكل حرية، تلجأ الدراما للعب دور تلك البرامج ، ويحدث هذ التغير في لعب الأدوار خاصة في المجتمعات الغير ديمقراطية ،والتي لا تُعطي فيها الحكومات نسبة كبيرة من الحرية فيما يتعلق بالنقد السياسي، لذا تلجأ هذه البرامج لنقد الأحداث السياسية بطريقة كوميدية ساخرة حتى لا يُكشف أمرها أمام السلطة التي تفرض رقابتها على كل ما يُنشر عبر وسائل الإعلام خاصة المرئية والمكتوبة، و مع إعتبار السخرية أسلوب لغوي يعبر عن الأفكار و الآراء والتوجهات فإن بإمكانه الوصول إلى عدد كبير من الجماهير على إختلاف فئاتهم العمرية و مستوياتهم التعليمية. لاسيما أن الدراما الساخرة تعتمد على الحوار الذي يكون بلغة محلية يفهمها الكبير والصغير إلى جانب بعض الحركات والإيماءات التي تحمل معاني كثيرة وتتطابق مع النسق الإجتماعي.

ونجد هذا الكلام ينطبق على الدراما الجزائرية التي سارت على هذا الدرب، خاصة مع الرقابة المشددة التي تفرضها سلطة الضبط السمعي البصري على وسائل الإعلام المرئية وعلى رأسها القنوات التلفزيونية الخاصة وعلى كل ما يُعرض فيها من برامج سواء درامية أو غير درامية. لوضع حدود لتلك الإختراقات الغير أخلاقية في نظر السلطة، و تمارس سلطة الضبط دور حارس البوابة وتُجبر العديد من الصحفيين ورؤساء التحرير على حذف كل الحلقات أو اللقطات التي تنتقد بشدة أو تمس بالنظام السياسي الحاكم أو أي شخص عضو فيه سواء الوزراء أو مؤسسات الدولة.

إن تلك الرقابة الصارمة والمستمرة للسلطة الحاكمة هي من جعل الدراما تُجسد وظيفة البرامج السياسية الحوارية، حيث أصبحت الدراما تسعى لمعالجة المواضيع السياسية بغرض نشر الوعي السياسي عبر تمرير رسائل مشفرة في إطار السياق الإجتماعي وبالإعتماد على إستمالات إقناعية تارةً عقلانية وتارةً أخرى عاطفية، يستطيع المشاهد فهمها دون لبس مع إستخدام الأسلوب الهزلي الساخر سواء في الكلام أو الحركات، وذلك حتى لا تُثير إنتباه الحكومة و تُبرأ نفسها أمامها، خاصة أنها تقوم بالنقد السياسي بإستعمال شخصيات بأسماء خيالية مستعارة و هزلية، لكن وظيفتها غالبا ما تكون قريبة من وظيفة الشخصيات السياسية الحقيقية التي يتم نقدها .

5.ارتباط الدراما الجزائرية الساخرة بالقضايا السياسية "السلطان عاشور العاشر":

لطالما تطرقت الدراما التلفزيونية الجزائرية إلى مختلف القضايا الإجتماعية و الثورية التي تعالج واقع الناس وهمومهم، و إستطاعت بتلك الأعمال أن تحقق نجاحا كبيرا خلال السنوات السابقة من خلال ما قدمته للجمهور الجزائري عبر القناة الوطنية الأولى و الوحيدة آنذاك، و رغم وجود محطة تلفزيونية واحدة خلال فترة الألفية (تقتصر على التلفزيون التابع للقطاع العمومي) إستطاعت أن تقدم العديد من المسلسلات الدرامية سواء خلال شهر رمضان أو خلال الأيام العادية من السنة، وقد كان لتلك الأعمال صدى كبير نظرا لإهتمامها بمختلف الجوانب الإجتماعية أبرزها المشكلات الأسرية والعلاقات الإجتماعية، مع الإعتماد على أساليب درامية جادة في غالب الأحيان وأخرى كوميدية، و أخرى تراجيدية، معظمها ترك بصمته على المشاهد الجزائري، نذكر من بين تلك الأعمال الشهيرة: حنان إمرأة ، اللاعب، البذرة ، والعمل الكوميدي سيتكوم" جمعي فاميلي".....، وقد تمكنت أغلب هذه الأعمال من إستقطاب جمهور كبير بفضل ملامستها للواقع المعاش وتطرقها لمختلف المشكلات الإجتماعية، و إستمرت المحطات التلفزيونية الجزائرية العمومية والخاصة تهتم بمعالجة المواضيع الإجتماعية مع إضافة عليها بعض اللمسات الجديدة حتى لا تُشعر المشاهد بالملل، أهمها إستحداث الجانب التقني من خلال الاعتماد على تقنيات متطورة في التصوير والمونتاج الى جانب جلب تقنيين وفنيين متمكنين من هذا الجانب، مع مواكبة كل ما هو عصري من لباس وديكور وسيارات ومنازل فخمة، وجلب وجوه جديدة من الممثلين أغلبهم من فئة الشباب، مع التقليل من فترة العرض.....،وقد حصدت هذه الأعمال الدرامية مشاهدات مرتفعة من قبل الجمهور الجزائري الذي إستحسن هذا التغيير في الشكل .

إن تلك المشاهدات العالية التي حققتها الدراما الجزائرية لا تجعلنا نُجزم دوما بنجاح هذه الأعمال، إذ يمكن إرجاع ذلك الإقبال الكبير من طرف الجمهور المتلقي لها، لعدم وجود بديل آخر من تلك الأعمال التي تعالج واقعه بأساليب مختلفة، فالمتتبع للدراما الجزائرية أصبح مجبرا على متابعة كل ما يُبث له من أعمال طال إنتظارها بإعتبارها أعمال موسمية، لتصدم المتفرج بتكرار نفس القضايا والمواضيع الإجتماعية التي إعتادها، و إهمالها لجوانب أخرى تهمه أيضا كالتاريخ ،السياسة، الدين ...، ولعل هذا ما دفع المشاهد الجزائري لتغيير المحطة نحو الفضائيات العربية لمتابعة الدراما السورية ، والمصرية، والدراما التركية مؤخرا، نظرا لوجود إختلاف و تنويع في هذه الأعمال من حيث التطرق لمختلف المواضيع بطرق جديدة، والتي غالبا ما تلامس مشاعره، وقد أصبح يقارن تلك الأعمال بالدراما الجزائرية و يتطلع إلى أعمال درامية جديدة تعالج جوانب أخرى من الحياة الإنسانية، ولا تَقتصرُ فقط على القضايا الإجتماعية، مع المزج بين الجدية والكوميديا، و إستخدام تقنيات متطورة والتحسين من السيناريو الذي هو عصب العمل الدرامي.

من جانب آخر ساهم ظهور القنوات التلفزيونية الخاصة التي دخلت غمار المنافسة فيما بينها على انتاج وشراء الكثير من البرامج التلفزيونية الدرامية والغير درامية التي اهتمت بمختلف القضايا سواء الاجتماعية أو السياسية او الترفيهية أو الدينية والتعليمية ، كما مكن التطور التكنولوجي الذي مس وسائل الإعلام بصفة عامة والتلفزيون على وجه خاص من تغيير شكل المحتوى الدرامي وقوالب تقديمه، حيث سعت الدراما الجزائرية من أجل التغيير حتى تُشعر المشاهد بذلك، وهذا من خلال الإعتماد على تقنيات جد متطورة في التصوير والمونتاج والسيناريو ومع التحول الرقمي الذي شهده قطاع الاعلام أيضا عملت العديد من القنوات الجزائرية على ربط الأعمال الدرامية بالميديا الجديدة كي تساهم أكثر في ايصال الكثير من الأعمال الدرامية الى أكبر جمهور باختلاف أعماره وأماكن تواجده في الوقت الذي يتم فيه بث ذلك العمل، كما أصبحت الدراما الجزائرية اليوم تتطلع الى تحقيق أهداف أكبر من كونها تسعى للتغيير الإجتماعي فقط، ولعل هذا ما دفع بعجلة الدراما الجزائرية الى الأمام بحيث أصبح هناك تنويع نسبي وتجديد في معالجة باقي القضايا المجتمعية المهمة، وألاَّ تقتصر فقط على كل ما هو اجتماعي مرتبط بالحياة اليومية للفرد، وهكذا أصبحت الدراما تركز على بعض المجالات الأخرى مع التغيير في أسلوب المعالجة من خلال ادخال الخيال للإثارة و الجدل، والتنويع في طرق معالجة المواضيع سواء بطرق كوميدية ،او تراجيدية ،أو خيالية، روائية.

من جانب آخر ساعدت التغيرات والأحداث التي جرت خلال السنوات الأخيرة على مستوى النظام السياسي الحاكم في الجزائر، على أن تكون دفع قوي و غذاء للدراما الجزائرية التي إهتمت بهذا الجانب لاسيما بإعتبارها البديل الأول للبرامج السياسية الحوارية التي تعتمد في تحليلها للقضايا السياسية على الأسلوب الرزين ما جعلها عرضة للرقابة الصارمة التي فُرضت عليها من قبل السلطة حتى لا تُشكل خطرا عليها بنقدها الجريء واللاذع الذي تعتبره السلطة تحريضا للفوضى ما أدى لتقييد عمل هذه البرامج الحوارية وايقاف بعضها بدعية التجاوزات، وهكذا جاءت الدراما السياسية الساخرة كبديل في تناولها لمختلف المشكلات السياسية التي عاشتها الجزائر مؤخرا بوضعها في قوالب فنية مختلفة بغرض توضيحها أكثر للجمهور العام من خلال التطرق لها بطريقة ساخرة في عبارات وجمل تضمينية و لغة الجسد من خلال الحركات حتى لا تلفت إنتباه السلطة لها . ولعل هذا الأسلوب الساخر الذي يمتاز بخفته هو ما زاد من اهتمام الشباب بالمجال السياسي.

فالدراما السياسية الساخرة عادة ما تقوم بوضع تلك الرسائل ذات الدلالات السياسية في حركات الجسد والإيماءات التي تقوم بها الشخصية في العمل الدرامي، بحيث تُعد لغة للتواصل ولنقل رسائل معينة تكون وفق السياق الاجتماعي للفرد المتلقي لها ،وغالبا ما نجد هذا النوع التعبيري بكثرة في المواضيع الحساسة التي تنتقد السلطة الحاكمة، اذ بدلا من إستعمال الكلام لإيصال الرسالة يتم الاعتماد على لغة الجسد باعتبارها تساهم بنسبة93% في تشكيل معنى الرسالة، وتؤكد بعض الدراسات أن هناك ثلاث رسائل يستخدمها الانسان لتوصيل المعنى أثناء التواصل وهي: الكلام، نبرة الصوت ،ولغة الجسد، وقد توصلت الدراسات الى أن الكلام لم يتحصل سوى على نسبة 10 % ،وحصلت نبرة الصوت على 35 %، بينما تحصلت لغة الجسد على أعلى نسبة 55% (حسنين، 2012، صفحة 19) .

لقد شهد الجمهور الجزائري خلال شهر رمضان لعام 2015 نوعا جديدا من الأعمال الدرامية عبر القنوات التلفزيونية ، وهي الدراما السياسية الساخرة التي تقوم بنقد أحداث و مواقف، او شخصيات سياسية بطريقة تهكمية ساخرة سواء بطريقة مباشرة أو ضمنية، ويتجسد هذا النوع من الدراما في العمل الجزائري الضخم و الساخر "السلطان عاشور العاشر" بإعتباره أول عمل درامي ساخر في الجزائر، إن هذا العمل عبارة عن سلسلة درامية تتكون من عدة حلقات بحيث كل حلقة تتناول قضية سياسية مشابهة وأحيانا مطابقة لما يحدث في الواقع السياسي الجزائري، ثم يتم معالجتها بطريقة كوميدية ساخرة مع مزج جزء من الخيال، و مخاطبة الجمهور بلغة عفوية بسيطة وهي اللهجة العامية من أجل إيصال الرسالة لكافة شرائح المجتمع، إن النجاح الذي حققته السلسلة الساخرة منذ أول موسم عُرضت فيه، ساهم بشكل كبير في إتباعه بأجزاء أخرى بحيث كل جزء يعالج وقائع سياسية حديثة خلال كل مرحلة زمنية، حيث جاء عرض الجزء الثاني من العمل خلال رمضان 2016 وتبعه الجزء الثالث خلال رمضان2018 ثم الجزء الرابع عام 2020، هذا العمل هو من إخراج وكتابة المخرج الجزائري "جعفر قاسم" وانتاج شركة برود ارت ،تم تصويره بتونس في أستوديوهات طارق بن عمار، نظرا لملائمة جو المكان والديكور للقصة، حيث يشبه المكان للمملكات القديمة ،خاصة و أن أحداث العمل تدور حول مملكة خيالية إسمها "المملكة العاشورية" يحكمها السلطان عاشور العاشر ابن بوعلام التاسع خلال القرنيين 11_12 (بودهان، 2017، صفحة 3) ،تدور احداث السلسلة حول الحياة اليومية للسلطان "عاشور العاشر" الذي يعيش في قصر مع عائلته وبعض من حاشيته (زوجاته وابنائه ،الوزير ومستشاره، الطباخ و جنود القصر)، و تعالج كل حلقة من هذه السلسلة موضوعا سياسيا يصور العلاقة بين الحاكم والمحكوم من خلال ما يحدث كبعض التوترات السياسية بين السلطان عاشور وشعبه داخل المملكة نظرا لما يتم فرضه من قرارات من طرف الحاكم، الى جانب تصوير جزء من العلاقات الديبلوماسية بين المملكة العاشورية وباقي المماليك الاخرى و ما يدور بينها من خلافات سياسية. الى جانب العنصر الأهم من القصة وهو سلطة و حكم السلطان ، وتمسكه الشديد بالحكم رغم كل محاولات الاطاحة به سواء من اعدائه أومن قبل شعبه أو حتى عائلته ..وكل ذلك بقالب فني كوميدي ساخر اضحك الجمهور .

ان هذا العمل الدرامي لم يُصرح علنا بأنه يعالج الواقع السياسي الجزائري وذلك قد يرجع لأسباب عدة منها تخوفه من متابعة السلطة له وتوقيفه لاسيما أنه قد حقق نجاحا كبيرا، الا ان طريقة عرض ومعالجة الاحداث الى جانب تشابه

الأحداث التمثيلية لبعض الاحداث والوقائع السياسية يوحي لنا بوجود اشارة للواقع المعاش من خلال التطرق لتلك القضايا ضمنيا عن طريق استخدام رموز واشارات لفضية و غير لفضية ،وذلك لتفادي الوقوع في مشاحنات مع السلطة بسبب النقد السياسي. وقد توصلت إحدى الدراسات الجزائرية إلى أن هذه السلسلة الدرامية إهتمت بمعالجة جزء كبير من القضايا السياسية إلى جانب جزء من القضايا والمشاكل الاجتماعية بإستخدام القالب الفكاهي الساخر، فقد عالجت السلسلة بطريقة ضمنية ساخرة عمل السلطة على الصعيدين السياسي والاجتماعي، وكشفت أدائها المتمثل في الفساد وقمع الحريات الشخصية للمواطنين والحق في التعبير (لمهل، 2022، صفحة 179).

6. رؤية نقدية حول الدراما التلفزيونية السياسية الجزائرية:

ليس بإمكاننا أن ننكر الدور الكبير الذي قدمته الدراما الجزائرية خلال السنوات الماضية، بحيث إستطاع التلفزيون الجزائري أن يقدم لنا الكثير من الأعمال التي عالجت واقعنا من الجانب الإجتماعي والتاريخي والثوري، وأن تؤدي تلك الأعمال وظائف عدة كتقديم المعلومات و التأريخ و النصح و التوجيه و التوعية والترفيه للجمهور المتلقي. ومع الإنفتاح الإعلامي والتحول الرقمي تغير أداء الدراما التي أضحت تهتم بالفرجة مع الإعتماد على بدائل و أساليب وتقنيات جديدة ومتطورة لجذب الجمهور نحوها.

رغم ذلك التحول الذي مس الشكل الفني والتقني للدراما لاتزال الأعمال الدرامية الجزائرية اليوم تعاني من ضعف في بعض الجوانب كنقص مخرجين مكونين في هذا المجال، إلى جانب الميل لتكرار معالجة بعض القضايا لاسيما الإجتماعية منها وإهمال مجالات وجوانب أخرى أهم بحيث صار بإمكان المتتبع للدراما الجزائرية يتوقع نهاية القصة وذلك قبل عرض كافة حلقاتها، وهذا بسبب التكرار في تناول تلك المواضيع الاجتماعية والميل أيضا لصناعة أعمال مستنسخة عن الدراما الأجنبية وخاصة الدراما التركية بحيث تتشابه معها في القصة والشخصيات. و من بين أبرز المشكلات أيضا في الدراما الجزائرية حاليا هو ضعف النص أو" السيناريو" باعتباره أحد أهم عناصر العمل الدرامي و العمود الفقري له، فالسيناريو هو ذلك النص الأدبي الذي يحوي في مضمونه عناوين تحمل إشارات وعبارات فنية و درامية تصلح أن تتحول إلى عمل سينمائي أو مسلسل درامي سواء اذاعيا او تلفزيونيا، وغالبا ما يُكتب من طرف قاص أو روائي شاعر أو أديب مثقف، وقد يكون كاتب السيناريو مختص في كتابة نوع معين من الحوار عند معالجة الأحداث الدرامية في النص لتجسيدها أخيرا في فيلم روائي أو وثائقي أو مسلسل درامي ذو طابع كوميدي أو مأساوي أو نوع من البرامج السياسية والثقافية (فرحان، 2010، صفحة 116).

إن عمل كاتب السيناريو ليس بالأمر السهل، فهو يتطلب دقة متفانية، لأنه هو من يضع الكلمات على الورق ويحدد إسم ووظيفة الشخصية ودورها في ذلك العمل، ويُحددُ البناء القصصي و التيمات، وقد يتطلب كل ذلك وقتا طويلا حتى يتم تجسيده إلى عمل مرئي، وقد يُطالب المنتج كاتب السيناريو قبل تجسيد النص على أرض الواقع أن يقوم بعمل مسودة له والتي تُعرف أيضا باسم "النص الإستكشافي" لعرضها على المنتجين أولا لتحكيمها وتقييمها (صبان، 2010، صفحة 545)

و يذهب أغلب النقاد للإنتاج الدرامي والسينمائي في الجزائر إلى أن الخلل الأكبر للعمل الدرامي و حتى السينمائي موجود في كتابة السيناريو، ويعود هذا الخلل إلى غياب أهل السرد لكتابته وتحول المخرج في حد ذاته إلى سيناريست، مما أدخل الإنتاج السمعي البصري في أزمة، كما أن الأعمال التلفزيونية والسينمائية اليوم لا تَنطلقُ من سرد إبداعي كالقصة أو الرواية أو فكرة حقيقية مدروسة بجدية من كل الزوايا مثلما كانت عليه أغلب الأعمال الجزائرية سابقا، فمثلا نجد أن العمل الدرامي المعروف "الحريق" كان مُقتبسًا من رواية الكاتب "محمد ديب" وقد حقق هذا العمل نجاحا كبيرا وجوائز عالمية بسبب قوة السيناريو إلى جانب قوة الصورة و الأداء .

إن غياب معهد لتكوين كُتَّاب سيناريو سواء كانوا متخصصين في الأعمال التلفزيونية أو السينمائية له أثر سلبي على جودة السيناريو، فحتى المعهد الوطني للفنون الدرامية بالجزائر العاصمة لا يُكوّن كُتَّاب سيناريو متمكنين، إضافة لذلك أصبح أغلب المنتجين يذهبون إلى إنتاج مسلسلات بسيطة وأخرى تمثيليات مضحكة لا تستغرق وقتا طويلا ولا تحتاج لميزانية كبيرة

(جلاب، 2014، صفحة 5) ،ولعل الجانب الآخر الذي جعل السيناريو حبيسًا للقضايا الإجتماعية فقط وإهماله للقضايا السياسية والتاريخية والدينية هو غياب الإنتاج، لأن مثل هذه الأعمال تتطلب ميزانية كبيرة لتجسيدها، كا: ديكور أو قرية صغيرة لصناعة الأفلام، ملابس و أواني خاصة بفترات زمنية معينة.

إن المشكلة التي تعاني منها الأعمال الدرامية الجزائرية لا تتوقف فقط عند السيناريو، بل أيضا في غياب الكفاءة لدى الممثلين، ولو نعود بالزمن قليلا إلى الوراء نلاحظ أن الأفلام الجزائرية القديمة تضم مجموعة ممثلين متمكنين أغلبهم خريجي مسرح و معاهد وطنية أو أجنبية، حيث رغم ضعف السيناريو الدرامي أحيانا، إلاّ أن الممثل بخبرته وكفاءته قد يغطي ذلك الضعف من خلال تجسيد الدور بكل أحاسيسه و إنفعالاته و إيماءاته ونبرته الصوتية، وهكذا لا يُشعر المشاهد بذلك النقص، أما اليوم فقد أصبحت أغلب الأعمال التلفزيونية الدرامية تلجأ إلى إستقطاب الشباب من مؤثري السوشيل ميديا للترويج لذلك العمل و حصوله على اكبر المشاهدات، رغم أن هؤلاء الأشخاص يفتقرون إلى التكوين و الخبرة في التمثيل، خاصة و أن أغلب المؤثرين لهم إهتمامات وهوايات أخرى مختلفة و بعيدة كل البعد عن التمثيل الذي يُعتبر فن له قواعده ومبادئه لابد من التمرن عليها للوصول إلى مستوى ممثل تلفزيوني، خاصة مع إعتبار الدراما رسالة تحاكي الواقع لابد من إتقانها الى جانب ما تحتويه الدراما من قدرة كبيرة في الإيهام، بحيث يستطيع الممثل تجسيد شخصية كائن آخر غير شخصيته مما يوحي للمشاهد بأنه شخص آخر فعلا ،و يُشعره أن هذا الدور التجسيدي يُعبر حقا عن شخصية الممثل حتى في الواقع، أو أن هذه الشخصية موجودة فعلا في حياته وعلى هذ الأساس يتفاعل معها ويستجيب لها (صالح، 2017، صفحة 102) فالممثل المتميز المبدع هو الذي يستطيع تقمص تلك الأدوار بكل أحاسيسه و بطريقة تتقارب مع الواقع كثيرا ما يجعل الناس يُصدقونها حتى و إن كانت الشخصية خيالية.

ولو نعود للسلسلة الكوميدية الساخرة "السلطان عاشور العاشر" والذي جسد دور البطولة فيها الممثل القدير "صالح اوقروت" في دور السلطان عاشور حاكم المملكة العاشورية، نجد أنه وبفضل الخبرة التي يمتلكها الممثل في هذا المجال وتفوقه في الكوميديا والدراما عموما، قد قام بتجسيد الدور على أكمل وجه، بحيث مكَّن المتفرج من فهم بعض الرسائل السياسية المشفرة التي كانت تظهر في بعض إيماءات الوجه ونبرة الصوت ،الإشارات و الحركات.

و على هذا الأساس نصل للقول أن الدراما السياسية الساخرة على عكس الدراما العادية تتطلب توفر كفاءات في تجسيد تلك الأدوار كونها تحمل رسائل مشفرة في الكلام و حركات الجسد و الديكور واللباس وحتى يَسهُل فهمها لدى الجمهور لابد من أن يكون الممثل ذو خبرة لإظهارها، إلى جانب توفر سيناريو قوي بلغة محلية بسيطة ورسائل تضمينية مدروسة تُمكن المشاهد من فهمها بسهولة، و لعل هذا ما تفتقره الدراما الجزائرية حاليا.

7. خاتمة:

في الأخير نصل الى القول بأن الدراما التلفزيونية مهما كان اهتمامها بالقضايا المجتمعية سواء كانت اجتماعية او سياسية او تاريخية او دينية ،فإنها تبقى فعل يحاكي الجمهور من خلال صناعة مواضيع عن أحداث قد وقعت فعلا أو لم تقع، أو التنبؤ بحدوثها من خلال تحليل وضعها الراهن ثم تجسيدها في شكل لقطات ومشاهد تحمل أحاسيس و إنفعالات عبر رسائل ضمنية و أخرى ظاهرية. ويمكن ارجاع قوة العمل الدرامي ودرجة تأثيره في المتلقي الى كفاءة وخبرة رؤية كاتب السيناريو والمخرج معا، بحيث لابد أن يكونا مُلمان بمجال معين قبل البدء في العمل عليه، وهذا ما ينطبق تماما على الدراما السياسة الساخرة التي تتطلب جهود ورؤية واضحة، حتى تؤدي وظيفتها على أكمل وجه والمتمثلة في الاخبار والترفيه والتوعية السياسية خاصة وأنها أحيانا تتقاطع مع بعض وظائف البرامج التلفزيونية الغير درامية في معالجة القضايا السياسية، فعلى سبيل المثال أضحت الدراما السياسية تُنافس البرامج الحوارية السياسية بحيث انها تقوم بنفس وظائفها الى جانب الترفيه والإضحاك والتنفيس.

8. قائمة المصادر و المراجع:

1. Abd arazek amrawi rajaa and mahmoud mohamed souha, Drama and Community Issues, University Knowledge (Egypt: University Knowledge, 2013)
2. Abu Maghli lina nabil and Qusim Hilat mustafa, Drama and Theatre in Theoretical Education and Practice, Al Raya Publishing and Distribution House (Oman: Dar Al Raya, 2008)
3. El Masri Attiyah Ezzedine, Television Drama Features and Technical Controls, Islamic University Gaza(Palestine: Islamic University Gaza ,2010)
4. Al-Shammari taleb abdul hussein Farhan, Radio and Television Programmes, Modern Book House (Cairo: Modern Book House, 2014)
5. Diaa Mustafa, Irony in TV shows, Mizoputamia House (Baghdad: Mizoputamia House, 2014)
6. Ahmed haikal azza, television drama: A critical journey, Supreme Council for Culture (Egypt: Supreme Council for Culture, 2016)
7. Author: Badwi mohammed mustafa, Translation: Abdul maksoud jamal, Early arab drama, National centre for translation (Cairo: National Centre for Translation, 2013)
8. Saker sabah, Cinema and Politics: The image of the mujahid in algerian cinema, texedge for Studies Publishing and Distribution (Algeria: Texidge for Studies publishing and distribution, 2012)
9. al-Dlimi mohammed abdu razak, globalization of television, hariri publishing and distribution house (Jordan: hariri publishing and distribution house, 2005)
10. Awad mohamed, Entrance to the Art of Television work, Modern book house (Cairo: Modern book house, 2008)
11. Abu Amud Mohammed Sa 'ad, Media and Politics in a new world, university house of thought (Alexandria:university house of thought, 2009)
12. Allawi Jabbar, Political Communication, Amjad publishing and distribution House (Amman: Amjad publishing and distribution house, 2015)
13. Abdelrahman Bakr, Zaghel, Zaghalon and satirical press: Abu Bathina.... Emir of Zaghalin, Arab Press Agency (Egypt: Arab Press Agency, 2018)
14. Shafiq Hassanin, Body Language in Media, house Fikr and Art for Printing and Publishing and distribution (d. M.L. ' N: house Fikr and Art for Printing and Publishing and distribution, 2012)

15. Talib Farhan, Radio and Television Media industry: Technical and Professional Features of the Islamic Media Man, house al-Nafas (Oman: house al-Nafas, 2010)
16. Saban Mona, Screening Directing and Montage Curriculum, house majdalawi (Oman: house majdalawi, 2010)
17. Sabri Saleh mohammed, Dramatic Media, Arab Renaissance House (Beirut: Arab Renaissance House, 2017)

Articles :

18. Lemhal Nadia, Social Problems and Political content in Algerian satirical television drama_ A semiotic study of episodes of Ashour x 2017 _, Journal of Semiotics, Volume 18, Issue 01,2022

Websites :

19. Farhat Jalab(2014), The crisis of the script in Algerian cinema and drama: *https://www.aljazeera.net/culture(16/2/2014)*
20. Yassine Boudhan(2017), Ashour X" series simulates the reality of Algeria humorously :*https://www.aljazeera.net/culture (15/06/2017)*